The Word for Today	الكَلِمَة لِهَذا اليَوم
Job 9:30-10:22	أيُّوب 9: 30 10: 22
#547	الحلقة الإذاعيَّة رقم: 857
Pastor Chuck Smith	الرَّاعي تشَك سميث

[المقدِّمة]

(مقدِّمُ البرنامَج)

أعزَّاءَنا المستَمعينَ، أهلًا بكُمْ في حلقةٍ جديدةٍ من البرنامجِ الإذاعيِّ ''الكلمةُ لِهَذا اليَوم''، حيث سنُتابِعُ في هذه الحَلَقةِ بنعمةِ اللهِ الصالِحِ دراستَنا في سِفرِ أيُّوبَ من إعدادِ القسِّ تشَك سميث.

في الحَلَقةِ السابِقةِ من برنامَجِنا، استَعرَضَ القسُّ تشَك على لِسانِ أيُّوبَ السؤالَ القديمَ الجديدَ: ''كيف يمكن أن يتصالَحَ الإنسانُ معَ اللهِ العليِّ؟''.

وفي حَلَقةِ اليومِ من برنامَجِ ''الكلمةُ لِهَذا اليوم''، سوف نتابِعُ حالَ أيُّوبَ وكيف حاوَلَ تَعزِية نفسِه وسَطَ اضطرابِه وما يمرُّ به من تجارِبَ قاسيةٍ.

إذا كانَ لدَيكَ كِتابٌ مقدَّسٌ، فنَرجو أن تفتَحَه على الأصحاحِ التَّاسعِ من سِفرِ أيُّوبَ، وابتداءً من العددِ الثَّلاثينَ. أمَّا إذا لم يَكُنِ الكتابُ المقدَّسُ معَكَ الآنَ، فنرجو أن تُصْغِيَ، عزيزي المستَمِع، بروحِ الصَّلاةِ والخُشوعِ بَينما يتناوَلُ القسُّ كَلامًا جديدًا لأيُّوبَ في محاولاتِ ردِّه على أصحابِه.

[متن العِظة القسُّ تشَك]

نبدأ أعزَّاءَنا المستَمِعين في حلَقة اليومِ من برنامَجِ ''الكلمةِ لِهَذا اليوم'' دراستَنا في سفرِ أيُّوبَ، الأصحاحِ التاسِعِ والأعدادِ من الثَّلاثينَ إلى الثاني والثلاثينَ، وجاءَ فيها:

''ولَوِ اغتَسَلتُ في الثَّلجِ، ونَظَّفتُ يَدَيَّ بالإشنانِ، فإنَّكَ في النَّقعِ تغمِسُني حتَّى تكرَهَني ثيابي. لأنَّهُ ليس هو إنسانًا مِثلي فأُجاوِبَهُ، فنأتي جميعًا إلَى المُحاكَمَةِ''.

ما يقولُه أيُّوبُ هنا هو إنَّه لا يستطيعُ أن يحدِّدَ مدى برِّه أو براءتِه. ومَهما حاوَلَ تطهيرَ نفسِه، فلن يكونَ مَقبولًا أمامَ الربِّ؛ لأنَّ اللهَ ليسَ إنسانًا مِثلَه حتَّى يُجيبَه في المحاكَمةِ.

وفي هذا الإطارِ، أقولُ إنَّنا كثيرًا ما نحاوِلُ أن نجْذِبَ اللهَ العليَّ إلى مستوانا. بل إنَّ بعضَ البشرِ ينحدِرون إلى مستوى الأشخاصِ الذين نقرأُ عَنْهُم في رسالةِ بولسَ الرسولِ إلى أهل رومية الأصحاح الأوَّل، والأعدادِ الثامنَ عشرَ والحادي والعِشرينَ والثاني والعِشرينَ والخامسِ والعِشرينَ، وجاءَ فيها:

''لأنَّ غَضَبَ اللهِ مُعلَنٌ مِنَ السماءِ علَى جميعِ فُجورِ النَّاسِ وإثمِهِم، الذينَ يَحجِزونَ الحَقَّ بالإثمِ...لأنَّهُمْ لَمَّا عَرَفوا اللهَ لَمْ يُمَجِّدوهُ أو يَشكُروهُ كإلهٍ، بل حَمِقوا في أفكارِهِمْ، وأظلَمَ قَلبُهُمُ الغَبيُّ. وبَينَما هُم يَزعُمونَ أنهُم حُكَماءُ صاروا جُهَلاءَ...الذينَ استَبدَلوا حَقَّ اللهِ بالكَذِبِ، واتَّقَوْا وعَبَدوا المَخلوقَ دونَ الخالِقِ، الذي هو مُبارَكٌ إلَى الأبدِ. آمينَ''.

ونرى في هذه الأعدادِ أنَّ البشرَ حاوَلوا بجَهلِهِم أن يجعَلوا الإلهَ في مَستَواهم، فلَم يمجِّدوا اللهَ العليَّ، بل عبدوا المخلوقَ دونَ الخالقِ. وفي سِياقٍ مُشابِهٍ، حينَما نحاوِلُ أن نُمليَ على اللهِ ما يفعلُه، فهذا فَشَلٌ منَّا في تمجيدِ اللهِ. فيجبُ أن ننتَبِهَ حينَما نرفَعُ طِلْباتِنا أمامَ اللهِ الحيِّ، بحيثُ نجعَلُ هذه الطِّلْباتِ تمجِّدُ اللهَ القدُّوسَ في كلِّ آن؛ لأنَّ اللهَ ليسَ مارِدَ المصباحِ الذي يعمَلُ على تحقيقِ أمانينا.

وكذلك علَينا أنْ نفْهَمَ أنَّ غايةَ صلاتِنا ليسَتْ تَحقيقَ مشيئتِنا وأمانينا، بل إنَّ صَلَواتِنا تسألُ أن تَتِمَّ مشيئةُ اللهِ العليِّ. ويَنْبَغي هنا أن نصدِّقَ أنَّ الربَّ كُلِّيُّ المعرِفةِ، ولا مجالَ للمُقارَنةِ ما بينَ معرفتِنا، نحن البَشرَ، والمعرِفَةِ الفائقةِ للهِ العَليمِ. وهكذا فإنَّ أحكَمَ صلاةٍ نرفَعُها هي كالآتي: ''أبانا السماويّ، لتكُنْ مشيئتُك في كلِّ مواقفِ حياتنا''. فحينَما لا أعرفُ ما عليَّ أن أصلِّيَه، لا أشعُرُ أقلَقُ، بل تكونُ لديَّ ثقةٌ كبيرةٌ؛ لأنِّي أطلبُ مشيئةَ اللهِ في كلِّ موقِفٍ، وأعرفُ أنَّ هذا أفضَلُ قرارٍ أتَّخذُه. فاللهُ أعظَمُ جدًّا منِّي، ومشيئتُه هي الأفضلُ لي، وحِكمتُه لا تُقارَنُ بتاتًا بحِكمتي؛ لأنَّه اللهُ غيرُ المحدودِ.

وبالعَودةِ إلى أيُّوبَ، فقد قالَ لبَلدَدَ إنَّه يعترفُ أنَّ اللهَ عادلٌ، وأنَّه يودُّ أن يُقوِّمَ سُبُلَه أمامَ الربِّ، لكنَّه لا يعرِفُ شخصًا يستطيعُ أنْ يوقِفَه أمامَ اللهِ القديرِ. فأيُّوبُ عالِمٌ أنَّه لن يعرفَ ما يُجيبُ به إذا طرحَ الربُّ الأسئلةَ عليه. وهذا سيؤدِّي به إلى الخُروجِ من قاعةِ المحكَمةِ بوصفِه شاهِدًا عاجزًا عن الإجابةِ عن أسئلةِ القاضي. فاللهُ القديرُ باختِصارٍ ليسَ إنسانًا مِثْلَنا حتَّى نواجِهَهُ في القَضاءِ.

ونصلُ الآنَ إلى العددَينِ الثالثِ والثلاثينَ والرابِع والثلاثين من الأصحاح التاسِع، وجاء فيهِما:

''ليس بَينَنا مُصالِحٌ يَضَعُ يَدَهُ علَى كِلَينا. ليَرفَعْ عَنِّي عَصاهُ ولا يَبغَتني رُعبُهُ''.

وما يُعلنِه أيُّوبُ هنا مهمٌّ جدًّا، فهو يقولُ إنَّ وضعَه ميؤوسٌ منه أمامَ اللهِ السرمديِّ، فلا يستطيعُ أن يرى الربَّ معَ أنَّه يعرفُ أنَّ اللهَ مَوجودٌ، ويعلَمُ أنَّه عادلٌ، لكنَّه اللهُ، أمَّا أيُّوبُ فلَيس سوى إنسانٍ. ثُمَّ يؤكِّدُ أيُّوبُ أنَّ الطريقةَ الوحيدةَ التي يستَطيعُ بها تحقيقَ ذلك هي أن يَقِفَ مُصالِحٌ ما بَينَه وبينَ اللهِ القدُّوسِ، ويَضَعَ يدَه على كلا الطَّرَفَينِ، لكنَّ أيُّوبَ يقولُ إنَّه لا يستَطيعُ أن يَجِدَ مِثْلَ هذا الوَسيطِ المُصالِحِ.

وأودُّ هنا، مستَمِعيَّ الأعزَّاء، أن أشكُرَ الربَّ على الإعلانِ الذي لنا في العهدِ الجديدِ. فمثلًا يُخبرُنا بولسُ الرَّسولُ في رسالتِه الأولى إلى تيموثاوُسَ الأصحاحِ الثاني والعددِ الخامس، حيثُ يقولُ:

''لأنَّهُ يوجَدُ إلهٌ واحِدٌ ووسيطٌ واحِدٌ بَينَ اللهِ والنَّاسِ: الإنسانُ يَسوعُ المَسيحُ''.

إذًا هناكَ وسيطٌ مُصالِحٌ واحدٌ ما بين اللهِ العليِّ والبَشَرِ، وهو يسوعُ المسيحِ. ونقرأُ في سِياقٍ متَّصِلٍ ما قالَه بولسُ الرَّسولُ عن يسوعَ المسيحِ في رسالتِه إلى أهلِ فيلبِّي الأصحاحِ الثاني والعددَينِ السادِسِ والسابِعِ، وجاء فيهِما:

''الذي إذ كانَ في صورَةِ اللهِ، لَمْ يَحسِبْ خُلسَةً أنْ يكونَ مُعادِلًا للهِ. لكنَّهُ أخلَى نَفسَهُ، آخِذًا صورَةَ عَبدٍ، صائرًا في شِبهِ النَّاسِ''.

إذًا يُخبِرُنا هذان العددانِ بوُضوحٍ أنَّ يسوعَ المسيحَ كانَ عِندَ اللهِ العليِّ، لكنَّه وَضَعَ نفسَه وعاشَ بينَ البَشَرِ. والمثيرُ للاهتِمامِ، أعزَّائي، أنَّ يسوعَ جُرِّبَ في كلِّ شيءٍ مِثْلَنا، بلا خطيَّةٍ، لكَي يقدِرَ أن يُعينَ المجرَّبينَ. ونقرأُ أيضًا عن حَدَثِ التجسُّدِ العَجيبِ هذا في إنجيلِ يوحنَّا الأصحاحِ الأوَّلِ والعددَينِ الأوَّلِ والرابعَ عَشَرَ، وجاء فيهِما:

''في البَدءِ كانَ الكلِمَةُ، والكلِمَةُ كانَ عِندَ اللهِ، وكانَ الكلِمَةُ اللهَ...والكلِمَةُ صارَ جَسَدًا وحَلَّ بَينَنا، ورأينا مَجدَهُ، مَجدًا كما لوَحيدٍ مِنَ الآبِ، مَملوءًا نِعمَةً وحَقًّا''.

ومُصْطَلَحُ ''حلَّ بَينَنا'' أي أقامَ خيمتَه في وَسَطِنا، كما كانَ الله المجيدُ يتراءى لموسى والشعبِ العبرانيِّ في خَيمةِ الاجتماعِ.

وكذلكَ يشدِّدُ يوحنَّا الرسولُ على مفهومِ التجسُّدِ في الأصحاحِ الأوَّلِ من رسالتِه الأولى، والعددَينِ الأوَّلِ والثالثِ، وجاء فيهما:

''الذي كانَ مِنَ البَدءِ، الذي سمِعناهُ، الذي رأيْناهُ بعُيونِنا، الذي شاهَدْناهُ، ولَمَستَهُ أيدينا، مِنْ جِهَةِ كلِمَةِ الحياةِ...الذي رأيناهُ وسَمِعناهُ نُخبِرُكُمْ بهِ، لكَيْ يكونَ لكُمْ أيضًا شَرِكَةٌ معنا. وأمَّا شَرِكَتُنا نَحنُ فهي مع الآبِ ومَعَ ابنِهِ يَسوعَ المَسيحِ''.

إذًا ما يقولُه يوحنَّا الرَّسولُ هنا هو إنَّه رأى يسوعَ المسيحَ ولمسَه، أمَّا أيُّوبُ فكانَ في العهدِ القديمِ عاجزًا عن رؤيةِ اللهِ العليِّ أو لمسِه مع أنَّه كانَ يَعلَمُ أنَّ الربَّ مَوجودٌ ويُحيطُ به. وهذه هي حالُ الإنسانِ دائمًا؛ فالبشرُ لم يَستَطيعوا أنْ يُشيِّدوا جِسرًا ليَصِلوا إلى اللهِ العليِّ، لكنَّ الربَّ شيَّدَ برَحمَتِه جِسْرًا ونزلَ إلى الإنسانِ. وهكذا يُمكِنُنا أن نَرى الفَرقَ الهائلَ ما بَينَ المسيحيَّةِ والأنظِمَةِ الدينيَّةِ الأُخرى؛ لأنَّ الأديانَ غَيرَ المسيحيَّةِ تَفرِضُ على الإنسانِ أن يسعَى بكلِّ جَهْدِه كي يبنِيَ بُرجًا إلى السَّماءِ، أو يحاوِلَ تسلُّقَ سُلَّمٍ كي يَصِلَ إلى اللهِ العليِّ ويجِدَه ويستكشِفَه. أمَّا في المسيحيَّةِ، فقدَ تنازَلَ اللهُ إلى مستوى الناسِ. وأرى أنَّ هذا أمرٌ منطِقيٌّ؛ فمن عدمِ الحِكمةِ الظنُّ أنَّ الإنسانَ المحدودَ قادرٌ على الوُصولِ إلى اللهِ السرمديِّ واللَّامَحدود. أمَّا الحِكمةُ فتقولُ إنَّ من المنطِقيِّ الإيمانَ بأنَّ اللهَ المجيدَ واللَّامحدودَ قادِرٌ على التَّنازُلِ وملامَسةِ البَشَرِ المَحدودِينَ. وهذه هي المسيحيَّةُ، ونقرأُ عن هذا بإيجازٍ في إنجيلِ يوحنَّا الأصحاحِ الثالثِ والعددِ السادِسَ عشرَ، وجاءَ فيه:

''لأنَّهُ هكذا أحَبَّ اللهُ العالَمَ حتَّى بَذَلَ ابنَهُ الوَحيدَ، لكَيْ لا يَهلِكَ كُلُّ مَنْ يؤمِنُ بهِ، بل تكونُ لهُ الحياةُ الأبديَّةُ''.

ومن هنا نرى أنَّ الربَّ القدُّوسَ شيَّدَ الجِسْرَ بأنْ أرسَلَ ابنَه الوحيدَ كي يخْلُصَ كلُّ مَن يؤمنُ به، وتكونُ له الحياةُ الأبديَّةُ.

أمَّا أيُّوبُ فقد صَرَخَ طالِبًا اللهَ من أعماقِ قلبِه، وهو الإنسانُ الذي جُرِّدَ من كلِّ شيءٍ ليُطلِقَ الصَّرخةَ التي تمثِّلُ الصَّرخةَ الأساسيَّةَ للبَشَرِ.

وفي سِياقٍ متَّصِلٍ، يقولُ العالِمُ اللامِعُ السِّير هنري درَموند (Sir Henry Drummond) في كِتابِه ''القانونُ الطبيعيُّ في العالَمِ الروحيِّ''، إنَّ هناك في كلِّ خليَّةٍ بشريَّةٍ أشبَه بما يكونُ بمخالبَ ضئيلةٍ تطلبُ الالتصاق باللهِ الآبِ. ويحدُثُ هذا حينَما يتَخَلَّى الإنسانُ عَنِ الحَيرة بشأنِ أمورٍ بسيطةٍ، مثلَ المُفاضَلةِ ما بينَ الطعامِ الإيطاليِّ والمكسيكيِّ، وينخرِطُ في الأمورِ الأساسيَّةِ في الحياةِ. فالحياةُ لَيسَتْ مجرَّدَ أمورٍ كشِراءِ وَقودٍ للسَّيَّارةِ، أو حتَّى شِراءِ سيَّارةٍ جديدةٍ، أو التفكيرِ العميقِ في الانتِقالِ إلى مدينةٍ أُخرى. ومع أنَّ هذه الأمورَ مهمَّةٌ لتسييرِ شؤونِ حياتَنا، فإنَّها لَيسَتِ الجَوهَرَ، كما أنَّها تزدادُ أحيانًا إلى حدِّ أن تشغَلَ كلَّ أوقاتِنا. لَكِنْ حينَما يتعرَّضُ الإنسانُ لمَوقِفٍ يُجرَّدُ فيه من كلِّ الكماليَّاتِ، فإنَّه يَعودُ إلى الأسئلةِ الأساسيَّةِ والحاجاتِ الضروريَّةِ في حياتِه، وأهَمُّها أنَّ على الإنسانِ إلى يتلامَسَ مع اللهِ القدُّوسِ.

ويتساءلُ أيُّوبُ عن الوسيلةِ التي يستطيعُ بها الوُصولَ إلى اللهِ، أو مَعرِفَتِه أو التلامُسِ مع شخصِه الكريم، ويؤكِّدُ أنْ لَيسَ هناك مَن يضَعُ يَدَه على كِلا الطَّرَفينِ ليكونَ وسيطًا ما بينَ اللهِ العَظيمِ والإنسانِ المِسْكينِ، غَيرَ أنَّ هذا الوَسيطَ لم يكُنْ حاضِرًا على أرضِنا في زَمَنِ أيُّوبَ. لكِنْ لَيتَ أيُّوبَ عاشَ ليَرى أنَّ المسيحَ كانَ منذُ البَدءِ مع اللهِ الآبِ، وفي مِلْءِ الزَّمانِ نَزَلَ وصارَ بَينَنا، وهكذا وَضَعَ يدَه ليكونَ وسيطًا ما بينَ الناسِ واللهِ العليِّ.
وبِلَمْسَةِ يسوعَ المَسيحِ، صارَ لَنا أن نتلامَسَ مع اللهِ المبارَكِ إذ صارَ المسيحُ وَسيطَنا المَجيدَ إلى اللهِ. وهكذا أُشبِعَتِ احتياجاتُنا الأساسيَّةُ، ولُبِّيَتِ الصَّرخةُ الآتِيَةُ من عُمقِ أعماقِ الإنسانِ. كما صارَ للإنسانِ اختبارٌ يَعرِفُ به اللهَ، ويتلامَسُ مَعه، ويختبِرُ لمستَه بواسطةِ يسوعَ المسيحِ المجيدِ.

وأودُّ هنا، أعزَّائي المستَمِعينَ، أن أشارِكَ شَفَقَتي على البَشَرِ الذينَ لم يتلامَسوا بعدُ مع اللهِ، ولم يَشْعُروا بمعنى أن يلمِسَ حياتَهُم، ولا سَمِعوا صَوتَه يُناديهِم، ولا شَعَروا ببَهْجَةِ حُضورِه في حَياتِهِم.

ولننْتَقِلِ الآنَ إلى الأصحاحِ العاشِرِ، لنُتابِعَ ما قالَه أيُّوبُ في الأعدادِ من الأوَّلِ إلى التاسِعِ، وجاءَ فيها:

''قد كرِهَتْ نَفسي حَياتي. أُسَيِّبُ شَكوايَ. أتَكلَّمُ في مَرارَةِ نَفسي قائلًا للهِ: لا تستَذْنِبْني. فهِّمني لماذا تُخاصِمُني! أحَسَنٌ عِندَكَ أنْ تظلِمَ، أنْ تُرذِلَ عَمَلَ يَدَيكَ، وتُشرِقَ علَى مَشورَةِ الأشرارِ؟ ألكَ عَينا بَشَرٍ، أم كنَظَرِ الإنسانِ تنظُرُ؟ أأيَّامُكَ كأيَّامِ الإنسانِ، أم سِنوكَ كأيَّامِ الرَّجُلِ، حتَّى تبحَثَ عن إثمي وتُفَتِّشَ علَى خَطيَّتي؟ في عِلمِكَ أنِّي لَستُ مُذنِبًا، ولا مُنقِذَ مِنْ يَدِكَ. يَداكَ كوَّنَتاني وصَنَعَتاني كُلِّي جميعًا، أفَتَبتَلِعُني؟ اذكُرْ أنَّكَ جَبَلتَني كالطِّينِ، أفَتُعيدُني إلَى التُّرابِ؟''.

إذًا يَعودُ أيُّوبُ في هذه الأعدادِ إلى بؤسِه وحالَتِه المُزْرِيَةِ. فقَدَ حاوَلَ أن يبحَثَ عن إجابةٍ عمَّا يحدُثُ له، فلَم يَجِدْ. فرأى أنْ لا مَفَرَّ سوى العَودةِ إلى رِثاءِ نفسِه. ثمَّ يبدأُ أيُّوبُ في استئنافِ قضيَّتِه من جديدٍ أمامَ الربِّ، حيثُ يقولُ للهِ الخالقِ إنَّه هو مَن شكَّلَ الإنسانَ من التُرابِ. وفي واقِعِ الحالِ، أشعُرُ بالطُّمأنينةِ حينَما أذكُرَ أنَّ الربَّ يعرِفُ أنَّنا تُرابٌ. ونقرأُ عن ذلكَ في المزمورِ المئةِ والثالثِ والعددِ الرابعَ عشرَ منه، وجاءَ فيه:

''لأنَّهُ يَعرِفُ جِبلَتَنا. يَذكُرُ أنَّنا تُرابٌ نَحنُ''.

وهكذا علَينا أنْ نتذكَّرَ دائمًا أنَّنا ترابٌ مَهما بلَغَ نُفوذُنا وقُوَّتُنا وسُلطانُنا، والمُطَمْئِنُ في الأمرِ أنَّ اللهَ الرَّحيمَ يتذكَّرُ على الدَّوامِ طبيعَتَنا الجسديَّةَ الفانِيةَ.

ومن المُهمِّ أن نتذكَّرَ هذا دَومًا؛ لأنَّ إنجازاتِنا وتفوُّقَنا على الآخرينَ كثيرًا ما يُعطينا الثِّقةَ الزائفةَ بالنَّفسِ، ويملأُنا بالكِبرياءِ. لكنَّ الربَّ كثيرًا ما يُعيدُنا إلى صَوابِنا بِرَحمَتِه لئلَّا نتسبَّبَ في الفَوضى في حياتِنا، ونُصابَ بالإحباطِ إذا فَشِلْنا في المرَّةِ التاليةِ؛ فاللهُ يعمَلُ من حينٍ إلى آخَرَ على تذكيرِنا بأنَّنا ترابٌ، وهو يَعْرِفُ جِبْلَتَنا، ويُدرِكُ أنَّنا مَصنوعونَ من تُرابٍ هشٍّ ولَسنا من فولاذٍ قويٍّ.

ونتابِعُ الآنَ ما قالَه أيُّوبُ في العددَينِ العاشرِ والحادي عشر من الأصحاح العاشِرِ، وجاءَ فيهِما:

''أَلَمْ تصُبَّني كاللَّبَنِ، وخَثَّرتَني كالجُبنِ؟ كسَوْتَني جِلدًا ولَحمًا، فنَسَجتَني بعِظامٍ وعَصَبٍ؟''.

نقرأُ هنا، مستَمِعيَّ الكِرام، صُورًا شِعرِيَّةً، يتناوَلُ فيها أيُّوبُ إبداعَ اللهِ في خَلْقِ الإنسانِ.

ونواصِلُ تأمُّلاتِنا في كَلامِ أيُّوبَ في الأعدادِ منَ الثاني عشر إلى الخامسَ عشرَ من الأصحاح العاشِرِ، وجاءَ فيها:

''مَنَحتَني حياةً ورَحمَةً، وحَفِظَتْ عِنايَتُكَ روحي. لكنَّكَ كتَمْتَ هذِهِ في قَلبِكَ. عَلِمتُ أنَّ هذا عِندَكَ: إنْ أخطأتُ تُلاحِظُني ولا تُبرِئُني مِنْ إثمي. إنْ أذنَبتُ فوَيلٌ لي، وإنْ تبَرَّرتُ لا أرفَعُ رأسي. إنِّي شَبعانُ هَوانًا وناظِرٌ مَذَلَّتي''.

وهنا يُعبِّرُ أيُّوبُ عن معاناتِه وحَيرتِه، قائلًا إنَّه لا يفهَمُ ما يَجري في حَياتِه، ويطلبُ إلى اللهِ أن ينظُرَ إلى حالِه لأنَّه حائرٌ تمامًا.

وكثيرًا ما يُصيبُنا هذا الشُّعورُ، حيثُ إنَّنا نقِفُ في مكانِ أيُّوبَ بَينَما تملأُ الحَيرةُ قلوبَنا، وتَتَعَقَّدُ أوضاعُ حَياتِنا، ولا يكونُ أمامَنا إلَّا أن نصرُخَ إلى الربِّ لينظُرَ إلى أحوالِنا المُحَيِّرةِ.

ونستمرُّ في استِعراضِ حالةِ أيُّوبَ البائسةِ في الأعدادِ من السادسَ عشرَ إلى الثاني والعِشرينَ والأخيرِ من الأصحاح العاشِرِ، وجاءَ فيها:

''وإنِ ارتَفَعتُ تَصْطادُني كأسَدٍ، ثُمَّ تعودُ وتَتَجَبَّرُ علَيَّ. تُجَدِّدُ شُهودَكَ تُجاهي، وتَزيدُ غَضَبَكَ علَيَّ. نوبٌ وجَيشٌ ضِدِّي. فلماذا أخرَجتَني مِنَ الرَّحِمِ؟ كُنتُ قد أسلَمتُ الرُّوحَ

ولَمْ ترَني عَينٌ! فكُنتُ كأنِّي لَمْ أكُنْ، فأُقادَ مِنَ الرَّحِمِ إلَى القَبرِ. أليسَتْ أيَّامي قَليلَةً؟ اترُكْ! كُفَّ عَنِّي فأتَبَلَّجَ قَليلًا، قَبلَ أنْ أذهَبَ ولا أعودَ. إلَى أرضِ ظُلمَةٍ وظِلِّ الموتِ، أرضِ ظَلامٍ مِثلِ دُجَى ظِلِّ الموتِ وبلا ترتيبٍ، وإشراقُها كالدُّجَى''.

يَعودُ أيُّوبُ هنا ليَتَساءَلَ عن سَبَبِ عدمِ موتِه منذُ ولادَتِه. ثمَّ يطلُبُ إلى اللهِ العادِلِ أن يمنَحَه مُهلةً أوِ استِراحةً قصيرةً قبلَ أن يترُكَ الحياةَ؛ لأنَّه كانَ حائرًا تمامًا في حالِه.

لا بدَّ أنَّ الموقِفَ الذي وصَلَ إليه أيُّوبُ هو غايةٌ في الظُّلمةَ، لكنَّنا لن نتمكَّنَ من رؤيةِ النُّورِ وَسَطَ تلك الظُّلمةِ الحالِكةِ إلَّا في الأصحاح الثامنِ والثلاثينَ. لذا ليس أمامَنا سِوى الانتِظارِ. أمَّا هُنا فمن المهمِّ أن نتأمَّلَ حياتَنا وما يدورُ حَولَها، وعلَينا أن نفكِّرَ في الأمورِ التي نستَنِدُ إليها حقًّا، ونحدِّدَ الأمورَ المِحوَريَّةَ في حياتِنا. وكثيرًا ما يُساعِدُنا سِفرُ أيُّوبَ على تَحديدِ تلك الأمورِ الأساسيَّةِ، وهي ليسَتْ مُسِرَّةً دائمًا، كما أنَّها بَعيدةٌ كلَّ البُعدِ عن الكَمالِ. ورُغمَ أنَّ لدَينا احتياجاتٍ أساسيَّةً عديدةً، فإنَّ اللهَ العليَّ لبَّى تلك الاحتِياجاتِ بواسطةِ يسوعَ المسيح. وهناك جوابٌ في العهدِ الجديدِ لكلِّ صَرخةٍ انطلَقَتْ من صَدرِ أيُّوبَ، والجوابُ هو في يسوعَ المسيح. فشكرًا للهِ المبارَكِ الذي سدَّدَ كلَّ الاحتياجاتِ الجوهريَّةِ للإنسانِ في يسوعَ المسيح البارِّ.

الخاتمة

(مقدِّمُ البرنامَج)

تابعْنا في حلَقةِ اليومِ من برنامَجِنا استمرارَ تَوجيهِ الاتِّهاماتِ إلى أيُّوبَ على فمِ أصحابِه، وكيف ردَّ أيُّوبُ علَيهِم. حيثُ أكَّدَ أنَّ الحياةَ لَيسَتْ عادلةً، وليسَ بالضَّرورةِ أن يُنهِيَ الأشخاص الصالِحونَ السِّباقَ أوَّلًا. غير أنَّنا سنرى في التحليلِ النهائيِّ أنَّ الأمورَ ستسيرُ على ما يُرامُ للَّذينَ يَقِفونَ في صفِّ اللهِ القديرِ.

في الحلَقةِ المقبِلةِ من برنامَج ''الكلمةُ لِهَذا اليوم''، سنعرفُ السببَ الذي يجعَلُ أيُّوبَ ينظُرُ إلى اللهِ على أنَّه إلهٌ عظيمٌ وكلِّيُّ القُدرةِ رُغمَ أنَّه يَمُرُّ بمرحلةٍ صَعبةٍ من التَّجارِبِ والمآسي.

كلمةٌ ختاميَّة

(الراعي تشَك سميث)

صلاتُنا لأجلِكَ، عزيزي المُستَمِع، أن تَطلُبَ يسوعَ المسيحَ في حياتِكَ؛ لأنَّه الوسيطُ الوحيدُ بينَكَ وبينَ اللهِ المجيدِ. ونصلِّي أيضًا أن تتمتَّعَ بغُفرانِ اللهِ لخطاياك، والذي صارَ متاحًا لكَ بمَوتِ يسوعَ على الصليبِ وقِيامتِه المَجيدةِ. ونصلِّي أخيرًا أن تزدادَ ثِقَتُكَ بِأنَّ اللهَ يَقِفُ إلى جانِبَكَ في حَيرَتِك ومواقفِك الصعبة. بِاسْمِ يسوعَ المسيحِ نصلِّي. آمين!